Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كيف أكتب، حتى أكون جالساً في مكان معيّن" (أسئلة الرواية ص٢٠٣). وقد مرّ بنا من قبل حديث الكاتب عن إنشاء روايته (الخبز الحافي) في المقابر، وكذلك فعل في بعض فصُول روايته الثانية (الشطار).

ولعلّ مظهر الإيقاع الأكبر في هذا العمل الفني قد تجسّد في حالة التناظر والتقابل ما بين مهمة الراوي الفنية، من جهة، وواقعه البشع الفظيع، من جهة ثانية، فهو إذْ يحاول أنْ يقهر الزمن الزئبقي لطنجة، وغيرها من فضاءات الأمكنة المتقلبة، ويثبته بكتابة رواية تبقى وترسخ وتخلد، يحاول في الوقت ذاته ألا يكون آلة تصوير (فوتوكوبي) ترسم الواقع كما هو. إنه كاتب يدرك مهمة الفن ووظيفة الأدب، ويفهم معنى أن يكون المرء منفصلاً عن تجربةٍ، عاشها، ثم راح يكتب عنها، وآيةُ ذلك أنه في "الشطار" يذكر أن المستشرق الياباني (نوتاهارا) الذي ترجم له "الخبز الحافي" إلى اليابانية ارتأى، بعد ترجمة ثلاثين صفحة منها، أن يرى الأمكنة الموصوفة في النص، فذهبا معاً إلى (تطوان) وعادا إلى (طنجة)، وفي الأخيرة أطلع شكري (نوتاهارا) على الصهريج الذي وصفه في الرواية الأولى، فقال له المستشرق الياباني: "وصفكَ له في الكتابة أجمل من واقعه الحالي". فقال محمد شكري: "هذه هي مهمة الفن. أن نجمّل الحياة حتى في أقبح صورها، إن هذا الصهريج انطبع في ذهن طفولتي جميلاً. لا بد لي من أن أستعيده بنفس الانطباع، حتى ولو كان بركة من الوحل، ثم إنني كنت بعيداً عنه زمنياً ومكانياً عندما وصفته".

ومما يلاحظ في قسمي الرواية أن فصول الأولى منها كانت تتابع بأرقام (١-٢-٣-٤-.....). أما الثانية فقد صارت فصولها تُعَنْوَن بعناوين مثل (زهرة دون رائحة) و(حين يفر السادة يموت العبيد) و(أول درس).. الخ والإيقاع هنا يتمثل بتحّول في شخصية الكاتب الراوي، فهي كانت في حال مُزْرية من الجهل والهامشية، قبل أن تنضج عام ١٩٥٦، وصارت في حال أخرى بعد عام ١٩٥٦، وهي الأعوام الأخيرة التي تحدّثت عنها الرواية، فحالة الجهل والضياع والتهمش، تناسبها الأرْقام التي لا تدل على هوية أو شخصية أو تحديد، كما في القسم الأول من السيرة، وحالة الوعي والمعرفة والوجود، تصاقبها العناوين الدالة على الهوية الشخصية والتحديد، كما في القسم الثاني. (وانظر دراسة صبري حافظ للرواية في آخر "الشطار" ص ٢٣٤-٢٣٥)

بيد أن السرد المتسلسل في "الخبز الحافي"، رغم الذاكرة الانتقائية للكاتب وجهده في الحذف والإثبات، راعى التوالي الزمني في حياة الأنا الراوية، ولكنه